أثر القدس في صراع المسلمين والمسيحيين ببلاد الشام بعد وفاة صلاح الدين حتى سقوط الدولة الأيوبية ٥٨٨ - ٦٤٨ هـ / ١١٩٢ - ١٢٥٠م

د. عثمان إسماعيل الطل

كلية الآداب / جامعة القدس/ فلسطين

الملخص

هذه الدراسة هي محاولة لبيان أثر القدس في الصراع الإسلامي الصليبي، والصراع بين أمراء البيت الأيوبي، بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي وحتى سقوط الدولة الأيوبية، وتبيان دورها الهام في التأثير على تحديد مواقف الأطراف المختلفة وتشكيل التحالفات السياسية المختلفة، فتتناول أثر القدس في قيام الحملة الصليبية الخامسة والمفاوضات التي جرت بشأنها خلال الحملة، وتأثيرها في الحملة الصليبية السادسة، والمفاوضات بشأنها بين الملك الكامل والإمبراطور فردريك حتى تسليمها للإمبراطور ورد الفعل على ذلك، ثم أثرها المراحل المتأخرة من الحكم الأيوبي.

كلمات مفتاحية : (القدس، الأيوبيين والقدس، الملك الكامل والقدس، المفاوضات حول القدس، التنازل عن القدس).

The Impact of Jerusalem in the of the Muslims and Christians in the Levant (Bilad Al-Sham, after the death of Saladin until the fall of the Ayyubid State 588-648 A.H/ 1192-1250 A.M

Dr. Othman Ismael Al-tel
College of Arts / University of Al-Quds/ Palestine

Abstract

This study is an attempt to explanation the impact of Jerusalem in the Crusader Islamic conflict, in addition to the conflict between the Ayyubid princes, after the death of Saladin and until the fall of the Ayyubid state, and explanation important role in influencing on of the positions of different parties and forming different political alliances.

It is deal with the impact of Jerusalem fifth Crusade campaign and during it, in addition of its impact on the Sixth Crusade and the negotiations that took place during this campaign between the King Al-Kamil and Emperor Frederick until give up it to the emperor and reaction thereupon. Finally, it deals with the impact of Jerusalem al the late stages of Ayyubid rule.

Key Words : Jerusalem, Ayyubids and Jerusalem, Jerusalem the center issue, King Al-Kamel and Jerusalem, negotiations on Jerusalem, give up of Jerusalem.

المقدمة

شهدت الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين الأيوبي مراحل متعددة من الانقسام والصراع على السلطة، فقد حدث ذلك بعد وفاة صلاح الدين مباشرة، وتكرر الأمر ذاته بعد وفاة الملك العادل، وعاد مرة أخرى بعد وفاة الملك الكامل، يضاف إلى هذا انه وفي ظل هذا الخلاف والصراع، كانت القوى الصليبية لا تزال تحاول استعادة القدس من المسلمين، وبعد فشلهم في احتلالها مرة أخرى في الحملة الصليبية الثالثة التي انتهت بعد مفاوضات طويلة إلى توقيع هدنة الرملة التي أبقت القدس تحت السيادة الإسلامية الكاملة.

على الرغم من كتابة الكثير من الأبحاث والدراسات الموسعة حول الحروب الصليبية، إلا هناك الكثير من القضايا التي لا تزال بحاجة إلى الدراسة والبحث، ومن هذه القضايا على سبيل المثال لا الحصر، أثر القدس في الصراع السياسي في بلاد الشام بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي وحتى سقوط الدولة الأيوبية، وما كانت تمثله من دور محوري ونقطة مركزية في التأثير على مواقف الأطراف وتشكيل التحالفات السياسية المختلفة، وبخاصة ما أقدم عليه السلاطين والحكام الأيوبيون من تصرفات فيما يتعلق بالاستعداد للتنازل أو حتى التنازل عنها للصليبيين، واتخاذها ورقة لمساومتهم بهدف كسبهم إلى جانبهم في صراعهم مع بعضهم البعض، وهو ما تتناوله هذه الدراسة بالبحث والتحليل.

وقد تم تقسيم البحث بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع إلى سبعة مباحث، تناول المبحث الأول ردة الفعل الأوروبية على تحرير المسلمين القدس على يد صلاح الدين الأيوبي، واستعرض المبحث الثاني أثر القدس في الصراع الإسلامي الصليبي خلال الحملة الصليبية الخامسة، ودرس المبحث الثالث أثر القدس في الصراع الإسلامي الصليبي خلال الحملة الصليبية السادسة، أما المبحث الرابع فتناول مسألة القدس بين الملك الكامل والإمبراطور فردريك"إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة"،وفي المبحث الخامس تم تناول أثر القدس في الأحداث التي شهدتها المنطقة في المراحل المتأخرة من الحكم الأيوبي.

ردة الفعل الأوروبية على تحرير القدس

كان للقدس والأماكن المقدسة في فلسطين، دور كبير في قيام الحروب الصليبية، وعلى الرغم من أنه كانت هناك أسباب متعددة لها[١]، إلا أن السبب الديني يبقى النقطة المركزية في قيامها، فقد دعا البابا سلفستر الثاني (٩٩٩-١٠٠٣م)، العالم الغربي لإنقاذ بيت المقدس' أما البابا جريجوري السابع(١٠٧٣-١٠٨٥م)، فقد حرض المسيحيين على تخليص الأماكن المقدسة من المسلمين[٢].

أما البابا أوربان الثاني (١٠٨٨-١٠٩٩م)، فقد ركز في مؤتمر كليرمونت[٣] عام ١٠٩٥م على القداسة الخاصة للقدس عند المسيحيين، وعلى معاناة الحجاج المسيحيين إليها، داعيا الغربيين إلى نبذ خلافاتهم، والقيام بحرب مقدسة يغفر الرب لمن يموت منهم فيها[٤].

وبهذا نشطت في الغرب الأوروبي الدعاوى التي ركزت على تدنيس المسلمين للأماكن المقدسة المسيحية، وعلى الاضطهاد والمعاملة السيئة التي يلقاها الحجاج المسيحيون إلى القدس على أيدي المسلمين[٥]، وأدت إلى تضافر مجموعة من العوامل التي مكنت الصليبيين من القيام بحملاتهم العسكرية على المشرق الإسلامي، واحتلال القدس عام ١٠٩٩م/ ٤٩٢ هـ[٦].

أما في الجانب الإسلامي، فمنذ الاحتلال الصليبي لبلاد الشام كانت القدس نقطة مركزية ومحركا هاما في الصراع الإسلامي الصليبي، فكان تحريرها من الاحتلال الصليبي هدفا مركزيا لكل من نور الدين زنكي[٧]، وصلاح الدين الأيوبي[٨]. وعندما حاول صلاح الدين تحرير القدس بعد معركة حطين، كان الصليبيون فيها يعتبرون أن الموت أهون عليهم من أن يملك المسلمون بيت المقدس[٩]، ولكنهم اضطروا في نهاية المطاف، إلى الاستسلام، وتسليم المدينة لصلاح الدين[١٠].

كان لتحرير القدس وقعاً مدوياً في العالمين الإسلامي والمسيحي على حد سواء، إذ عندما سمع المسلمون بفتحه أتوه من كل المناطق للزيارة، كما "قصده العلماء من مصر والشام لم يتخلف معروف من الحضور، وقيلت الخطب. وأمر صلاح الدين فوراً "بعمارة المسجد الأقصى واستنفاذ الوسع في تحسينه وترصيفه وتدقيق نقوشه، كما قام بنصب منبر نورالدين زنكي في المسجد الأقصى، وأقيمت فيه صلاة الجمعة بعد أن ظلت ممنوعة خلال الفترة الصليبية[١١].

أما في الجانب الصليبي فقد أثار تحرير المسلمين للقدس الغرب لقتال المسلمين، فقد توفي البابا أوربان الثالث بسبب صدمة شديدة تعرض لها عندما سمع بذلك، ووجه خليفته البابا جريجوري الثامن جهوده في الدعوة لحملة صليبية جديدة، فقد أرسل خطابا لمسيحيي الغرب واعدا إياهم بغفران كامل خطاياهم وذنوبهم إذا هم شاركوا فيها، كما عمل البابا كليمت الثالث، على إقناع ملوك ألمانيا وفرنسا وإنجلترا من أجل الاشتراك في الحملة، وتم فرض ضريبة على الدخل مقدارها عشرة في المائة، وعلى الأملاك المنقولة عرفت باسم عشور صلاح الدين[١٢]، ويصف ابن الأثير حال الصليبيين عند وصولهم إلى المنطقة فيقول: "حدثني بعض الأسرى منهم أن والدة ليس لها ولد سواه، ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعته وجهزته بثمنه، وسيرته لإنقاذ بيت المقدس فأخذ أسيرا[١٣]. ونتج عن هذا الوضع قيام حملة صليبية جديدة (الحملة الصليبية الثالثة التي شارك فيها ثلاثة من أشهر ملوك أوروبا في ذلك الوقت وهم: الإمبراطور الألماني فريدريك بربروسا، وملك فرنسا فليب أغسطس، وملك إنجلترا ريتشارد الأول (ريتشارد قلب الأسد).

وعلى الرغم من أن هذه الحملة قد حققت بعض النجاحات العسكرية[١٤]، إلا أن الصليبيين لم يتمكنوا من الزحف على بيت المقدس[١٥] التي كانت الهدف الأول الذي جاءت من أجله الحملة[١٦]، وهو ما جعل الملك ريتشارد قلب الأسد يدخل في مفاوضات مع صلاح الدين الأيوبي أدت في نهايتها إلى توقيع هدنة الرملة التي أبقت القدس تحت السيادة الإسلامية[١٧].

لقد شكلت القدس نقطة هامة في مواقف الطرفين من الصراع في المنطقة خلال المفاوضات التي جرت خلال الحملة الصليبية الثالثة، وكانت السيادة عليها الأساس الذي بني عليه موقف كل طرف خلال هذه المفاوضات الطويلة والشاقة، وكانت السبب الوحيد الذي أدى إلى تعثر هذه المفاوضات وانهيارها أكثر من مرة[١٨].

أثر القدس خلال الحملة الصليبية الخامسة

كانت القدس، كما كانت من قبل هي القضية المركزية التي بنيت عليها الدعوة للحملة الصليبية الخامسة التي دعا إليها البابا أنوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦م)، وعدد كبير من المبشرين في أوروبا وبخاصة في فرنسا، فقد أعلن الباب ضرورة دعم المسيحيين الأوروبيين لما تبقى من مملكة بيت المقدس اللاتينية التي توشك على السقوط بيد المسلمين، كما أنه يتوجب عليهم العمل على إعادتها إلى ما كانت عليه من قبل، وذلك من خلال دعمها بالمال والمقاتلين.

ففي مؤتمر اللاتيران الكنسي عام **١٢١٥م/٦١٢ هـ** ، كانت القدس هي القضية المركزية في كلمته التي ألقها في عدد كبير من الحكام والأمراء وكبار رجال الدين، زاعما أنها تعاني تحت حكم المسلمين الذين ما انفكوا يتهكمون على صليب السيد المسيح وينتهكون حرمة كنيسة القيامة، داعيا المجتمعين إلى مساعدته على تحريرها وطرد المسلمين منها[١٩].

بعد نجاح البابا في إثارة الحماس الشديد بين المشاركين في مؤتمر اللاتيران، وإعلانهم استعادهم للقيام بحملة صليبية تعمل على تحرير القدس من المسلمين، وتكون عوضا عن الحملتين الثالثة والرابعة اللتان فشلتا في تحقيق هذا الهدف،وبعد حشد الأموال والمقاتلين والانتهاء من الاستعداد، مهد البابا للحملة بأن كتب إلى الملك العادل الأيوبي يطلب منه بأن يسلمه بيت المقدس[٢٠].

وصلت الحملة إلى عكا حيث عقد الصليبيون فيها مجلسا استشاريا قرروا فيه التوجه لمهاجمة مصر، وذلك لإدراكهم أن سيطرتهم على القدس بشكل خاص، وعلى بلاد الشام بشكل عام، سوف تكون أكثر سهولة في حال تم لهم السيطرة على مصر، وهذا ما أشار إليه ابن واصل في قوله : "ولما طالت مدة اجتماع الفرج بمرج عكا اجتمعوا للمشورة في ماذا يبدءون بقصده، فأشار عقلاؤهم بقصد الديار المصرية أولا، وقالوا : إن الملك الناصر صلاح الدين إنما استولى على الممالك، وأخرج القدس والساحل من أيدي الفرنج بملكه ديار مصر، وتقويته برجالها، فالمصلحة أن نقصد أولا مصر ونملكها، وحينئذ فلا يبقى لنا مانع عن أخذ القدس وغيره من البلاد"[٢١].

كانت الدولة الأيوبية قد عانت من هذه الحملة معاناة شديدة، فقد توفي خلالها الملك العادل بعد أن شرع الصليبيين في مهاجمة مدينة دمياط[٢٢]، وقامت اضطرابات أثارها الأعراب، ودبرت مؤامرة لعزل الملك الكامل الذي تولى الحكم بعد والده الملك العادل في حكم مصر وتولية أخيه الأصغر مكانه[٢٣]، مما دفع الملك الكامل إلى الفرار إلى الصحراء، وطلب المساعدة من أخويه المعظم عيسو الأشرف في بلاد الشام[٢٤]، اللذان سارعا إلى الاستجابة إلى طلبه لمعرفتهما أن سيطرة الصليبيين على مصر تنعي سيطرتهم لاحقا على بلاد الشام، فنجح المعظم عيسى في التخلص من ابن المشطوب الذي تزعم مؤامرة عزل الملك الكامل عن الحكم، كما نجح في إعادة تجميع الجيش الأيوبي وتنظيمه للتصدي للصليبيين والحيلولة دون سيطرتهم على مصر[٢٥].

في ذروة حرج الموقف الأيوبي في مصر، برز دور القدس كنقطة مركزية في هذا الصراع، وهوما يفهم من عودة المعظم عيسى إلى القدس لهدم أسوارها خوفا منه من نجاح الصليبيين في الاستيلاء عليها[٢٦]، بعد أن علم أن مجموعات منهم تعتزم مهاجمتها بعد أن أصبحت بلاد الشام خالية من المقاتلين المسلمين[٢٧].

كما يفسر إصرار المعظم على هدم الأسوار رغم ما قد يترتب على هذا العمل من نتائج، إذ أظهر الناس عدم الرضا، وتلكأ بعض الأمراء في القيام بالهدم، وقد وصف أبو شامة هذا الوضع وصفا دقيقا فقال : "ففي أول المحرم وقيل فيسابع المحرم أخرب المعظم أبراج القدس وسوره خوفا من استيلاء الفرنج عليه، فاضطرب الناس وخرجوا منه متفرقين في البلاد، وهان عليهم مفارقة ديارهم وضياع أموالهم، وقد كان القدس يومئذ على أتم الأحوال من العمارة، وكثرة السكان"[٢٨] أما المقريزي فيقول عن ذلك : "وفيها (سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م) أمر الملك المعظم عيسى بتخريب القدس، خوفا من استيلاء الفرنج عليها، فخربت أسوار المدينة وأبراجها كلها، إلا برج داود–وكان من غربي البلد– فإنه أبقاه..."[٢٩].

لقد كان قرار المعظم بتخريب أسوار القدس وتحصيناتها غير قابل للنقاش، فكان رده على أخوه العزيز عثمان وعز الدين أيبك أستاذ الدار اللذان ترددا في تنفيذ أمره، وتعهدا له

بحفظها، حازما، فكتب إليهما قائلا : " لو أخذوه لقتلوا كل من فيه، وحكموا على دمشق وبلاد الشام، فألجأت الضرورة إلى إخرابه"(٣٠).

كما أن المعظم لم يكترث بالناس الذين لم يرتاحوا من إقدامه على هذا العمل، ولا على ما آلت إليه أوضاعهم التي وصفها ابن واصل بقوله : "ووقع في البلد ضجة مثل يوم القيامة، وخرج النساء المخدرات، والبنات، والشيوخ، والعجائز، والشباب، والصبيان إلى الصخرة والأقصى فقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم بحيث امتلأت الصخرة ومحراب الأقصى من الشعور، وخرجوا هاربين وتركوا أموالهم وأهاليهم، وما شكوا أن الفرنج تصبحهم، وامتلأت بهم الطرقات. فبعضهم إلى مصر، وبعضهم إلى الكرك، وبعضهم إلى دمشق، وكانت البنات المخدرات تمزقن ثيابهن وتربطها على أرجلهن من الحفا. ومات خلق كثير من الجوع، ومن العطش. وكانت نوبة لم يكن في الإسلام مثلها. ونهبت الأموال التي كانت لهم في القدس. وبلغ قنطار الزيت عشرة دراهم. وأكثر الشعراء في ذمها ودعوا عليها"(٣١).أما المقريزي فيصف ذلك بقوله : "وخرج معظم من كان في القدس من الناس، ولم يبق فيها إلا نفر يشير، ونقل المعظم ما كان في القدس من الأسلحة وآلات القتال، فشق على المسلمين تخريب القدس وأخذ دمياط"، ويضيف : "وفيها هدم المعظم قلعة الطور التي بناها أبوه العادل، وعفى آثارها(٣٢).كما قال الشعراء يصفون ما حل بالقدس من جراء ذلك، يعبرون عن رفضهم واستنكارهم لهذا العمل"(٣٣).

يظهر أن إصرار المعظم عيسى على تدمير تحصينات القدس كان نابعا من إدراكه العميق أن القدس هي النقطة المركزية في الصراع، وأنها سوف تكون حاضرة بقوة في أية مفاوضات قد تحدث مع الصليبيين، وأنها الورقة التي يمتلكها الأيوبيون لمساومة الصليبيين عليها، وهذا ما ذهب إليه رينسمان الذي رأى أن المعظم قد بادر إلى تدمير استحكامات القدس، لإدراك الأيوبيون بأنهم قد يضطرون للتنازل عنها، وأنه في هذه الحالة لا بد من تسليمها غير محصنة فقال : "وإذ كان لا بد من بذل بيت المقدس للمسيحيين لإنهاء الحرب، فينبغي أن لا يتم تسليمها لهم إلا في حالة خراب، وعجز عن الدفاع"(٣٤).

لقد كانت القدس هي النقطة التي انطلقت منها المفاوضات بين الأيوبيون والصليبيين في مصر، فبعد أن قام المعظم عيسى بهدم تحصيناتها، عرض الأيوبيون على الصليبيين تسليمها لهم مقابل انسحابهم عن مصر، ولم تكن المدينة لوحدها هي ما عرضه الأيوبيون، بل عرضوا أيضا إعادة إحياء مملكة بيت المقدس الصليبية، يقول ابن الأثير عن هذا العرض : "هذا يجري والرسل مترددة بينهم في تقرير قاعدة الصلح، وبذل المسلمون لهم تسليم البيت المقدس، وعسقلان، وطبرية، وصيدا، وجبلة، واللاذقية، وجميع ما فتحه صلاح الدين من الفرنج بالساحل..."[٣٥]. ويوضح رينسمان أكثر بشأن عرض الكامل فيقول: "أرسل الكامل فارسين أسيرين، ليعرضا على الفرنج شروطا محددة للصلح، تقضي بأنه إذا جلا الفرنج عن مصر، فسوف يعيد إليهم صليب الصلبوت، وسوف يحصلون على بيت المقدس، وقلب فلسطين والجليل. وسوف لا يحتفظ المسلمون إلا بالقلاع الواقعة وراء نهر الأردن، غير أنهم سوف يؤدون عنها إتاوة"[٣٦].

ويذكر كل من ابن الوردي والمقريزي، أن عرض الكامل هذا على الصليبيين قد استثنى مناطق الكرك والشوبك من المناطق التي سوف تسلم للصليبيين[٣٧]، ولعل هذا راجع لأهمية هاتين المنطقيتين للتواصل بين مصر وبلاد الشام، وعندما أصر الصليبيين عليهما اضطر الكامل إلى الموافقة على تسليمها لهم[٣٨].

وكما كانت القدس النقطة التي انطلقت منها المفاوضات، فإنها كانت كذلك النقطة التي سببت انهيارها وفشلها، إذ أضاف الصليبيين شرطا لما عرضه الأيوبيين عليهم يتضمن حصولهم على تعويض مالي ضخم كتعويض عن قيام المعظم عيسى بهدم تحصيناتها[٣٩]، وهو الأمر الذي كان على ما يبدو أكبر من قدرة الأيوبيون على تنفيذه، مما اضطرهم إلى الاستمرار في قتالهم[٤٠].

على الرغم من أن عرض الأيوبيون هذا كان يضمن للصليبيين تحقيق هدفهم الرئيس من الحملة، إلا أن اختلاف وجهات نظر زعمائهم، وتضارب المصالح فيما بينهم، واعتقاد بعضهم أن بإمكانهم السيطرة على جميع بلاد الشام بعد أن أصبحوا قريبين جدا من السيطرة على مصر،

أدى إلى رفضهم لكل ما عرضه الأيوبيون عليهم، وعلى هذا نجد رينسمان يصف عرض الأيوبيون هذا بأنه كان مثيرا للدهشة والقلق فيقول : "كان ذلك عرضا مثيرا للدهشة والقلق، إذ سوف يعود إلى العالم المسيحي بدون قتال، المدينة المقدسة، وبيت لحم والناصرة، وصليب الصلبوت. نصح الملك يوحنا بريين بقبول هذا العرض، وسانده في ذلك باروناته والبارونات القادمون من إنجلترا وفرنسا، وألمانيا، ولكن لم يرض بهذا العرض، بيلاجيوس وبطريرك بيت المقدس. إذ اعتقدا انه من الخطأ التوصل إلى اتفاق مع الكفار. ووافقتهما الطوائف الدينية العسكرية لأسباب إستراتيجية، إذ جرى تدمير استحكامات بيت المقدس والقلاع الواقعة بالجليل، وكيفما كان الأمر، فمن المستحيل المحافظة على بيت المقدس ما لم تتم السيطرة على إقليم ما وراء الأردن. وعارض الايطاليون أيضا شروط الكامل للصلح، فعلى الرغم من حرص المدن الايطالية البحرية على ألا تقطع علاقاتها مع مصر، فانه قد حدث وقتئذ، أنهم يودون اتخاذ دمياط مركزا لتجارتهم. ولم يهتموا بإضافة الإقليم الداخلي إلى أملاك الفرنج. وبلغ النزاع بين الفريقين المرارة، ان اعتقد جيمس أسقف عكا، أن السلطان لم يبذل عرضه إلا كيما يثير المنازعات بين المسيحيين. فتقرر رفض عرض السلطان تحت إلحاح وإصرار بيلاجيوس"(٤١).

كما يصف محمد سعيد عمران موقف الصليبيين وصفا دقيقا وبين سبب رفضهم لهذه العروض السخية التي تضمن لهم السيطرة على المدينة المقدسة وغيرها من المدن المتعلقة بأصول الديانة المسيحية، وهي المدن التي قامت الحروب الصليبية من أجلها، فيقول "أن المندوب البابوي بلاجيوس رأى أن مفاوضة المسلمين لا تكون إلا بعد هزيمتهم، لإملاء شروط خضوعهم، وأن مهادنته لا تكون إلا بعد دفع مبلغ مالي كبير من المال بمثابة فدية يتسلمها الصليبيون قبل أن يرحلوا عن دمياط. وهناك سبب آخر بعيد كل البعد عن الأغراض الصليبية الدينية وهو أن المدن الإيطالية التي اشتركت في هذه الحملة الصليبية، بجنودها وأموالها وأطماعها، عز عليها أن تقبل شروطا معناها عدم البقاء في دمياط. وهي الثغر التجاري الهام الذي تستطيع المصالح الإيطالية بخاصة، ولأوروبية بعامة، أن تنفذ منه إلى جوف البلاد المصرية. ومن الحق أن يقال أن الملك حنا برين اقترح قبول شروط السلطان لكامل، لسبب

واضح، وهو أن تصبح مملكة بيت المقدس الصليبية حقيقة جغرافية مرة أخرى، لا رمزا فقط وليس له من هذه المملكة سوى عكا..."[٤٢].

أدى رفض الصليبيين لعروض الملك الكامل، ووضعهم لشروط تفوق قدرة الأيوبيين على تنفيذها، إلى استمرار القتال، ومحاولتهم السيطرة على مصر، فأسقطوا دمياط، ثم حدثت تطورات كبيرة حولت سير القتال في صالح المسلمين[٤٣]، مما اضطرهم إلى مفاوضة الملك الكامل للانسحاب عن مصر وهو ما قبله الكامل على الرغم من معارضة بعض المسلمين الذين اعتبروا أنهم أمام فرصة للقضاء عليهم بشكل نهائي، وبذا انسحب الصليبيين عن مصر، وفشلت الحملة في تحقيق أهدافها[٤٤].

أثر القدس في الحملة الصليبية السادسة

أدى فشل الحملة الصليبية الخامسة، وانسحاب الصليبيين عن مصر، إلى تطورات كبيرة في الدولة الأيوبية، فبعد أن وقف أبناء الملك العادل الثلاثة (الكامل والمعظم والأشرف)، جنبا إلى جنب في التصدي لهذه الحملة[٤٥]، ورغم أن فشل الحملة قد عزز من سلطة الملك الكامل على بقية الأمراء الأيوبيين، إلا أنه لم تكد تمضي بضع سنوات حتى ظهرت الخلافات بينهم، مما هدد وحدة الدولة الأيوبية، وأحدث حالة من الانقسام والصراع، ويرجع القريزي سبب هذا الخلاف إلى قيام المعظم عيسى بمحالة توسيع أملاكه في بلاد الشام على حساب أخوته إذ استولى على المعرة وسلمية، وهاجم حماة مما أزعج أخيه الأشرف الذي شكا ذلك لأخيهما الكامل، الذي طلب من المعظم ترك هذه المناطق، مما جعل المعظم ينسحب عن حماة وهو حانق[٤٦].

ويظهر أن الخلاف بين الملك الكامل والمعظم لم يتوقفعند هذا الحد، كما يظهر أن الملك الكامل كان يخشى قوة أخيه المعظم، ويخشى كذلك من ميل جند مصر إليه، فقد ذكر المقريزي أنه في سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م، قبض الكامل على مجموعة من أمرائه لشكه من ميلهم لأخيه المعظم[٤٧]، ووصل الخلاف بين الأخوة سنة ٦٢٣ هـ/١٢٢٦م إلى القطيعة التي قال عنها المقريزي : "وفيها تأكدت الوحشة بين المعظم وبين أخويه الكامل والأشرف"[٤٨]، كما زاد فيها

شك الملك الكامل بأمرائه أكثر من ذي قبل، لأن المعظم كان قد كتب إليه قائلا : "وإن قصدتني لا آخذك إلا بعسكرك"[٤٩]، وهو الأمر الذي جعله لا يجرؤ على الخروج إلى بلاد الشام لمواجهة المعظم الذي شرع في مهاجمة حمص[٥٠].

في الوقت الذي كانت تتصاعد فيه الخلافات بين الأمراء الأيوبيون، كانت على الطرف الأخر تجري في أوروبا الاستعدادات للقيام بحملة صليبية جديدة تهدف إلى استرداد القدس من المسلمين، وقد تزعم الدعوة إلى هذه الحملة ملك مملكة بيت المقدس حنا دي برين الذي زار لهذا الغرض كل من فرنسا وإسبانيا، كما زار أيضا مع مندوبين عن البابا الإمبراطور فردريك الثاني ملك جزيرة صقلية وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة في غرب أوروبا[٥١]، طالبا منه المشاركة فيها. ولتشجيع الإمبراطور على المشاركة في هذه الحملة، قام حنا دي برين بتزويج ابنته من الإمبراطور[٥٢]،التي كان من المفترض لها أن ترث عرش مملكة بيت المقدس عن أبيها، وهو الأمر الذي سوف يعل الإمبراطور فردريك يعتقد أنه أصبح له حقا في هذا العرش عن طريق زوجته، وهو ما أعلنه فعلا بعد هذا الزواج [٥٣].

وعلى الرغم من الخلافات الكبيرة التي كانت بين البابا والإمبراطور فردريك[٥٤]، إلى أن الإمبراطور وافق أخيرا على المشاركة في هذه الحملة، وأقسم قبل زواجه من ابنة حنا دي برين له ولمندوبي البابا على ذلك[٥٥].

أما في مصر وبلاد الشام فقد كانت الخلافات بين الأمراء الأيوبيين قد وصلت إلى نقطة اللاعودة كما ذكرنا، كما أنه ظهرت قوى جديدة أخرى لها تأثير كبير على الأحداث متمثلة في الخوارزمية الفارين من وجه المغول، فعقد المعظم حلفاً مع سلطانهم جلال الدين خوارزم شاه، ووعده إن ساعده ضد أخيه الكامل بأن تكون له الخطبة والسكة في دمشق، فرد خوارزم شاه على هذا العرض بأن أرسل للمعظم "خلعة لبسها وشق بها دمشق، وقطع الخطبة للكامل"[٥٦]،كما عقد المعظم حلفا مع مظفر الدين بن زين الدين حاكم إربل[٥٧]، وقام بدعم الثورة التي قامت على أخيه الملك الأشرف حليف أخيهما الملك الكامل في خلاط[٥٨]، بل وأكثر من ذلك فإنه قام باعتقال أخيه الأشرف وأجبره على التعهد له بمساعدته في الاستيلاء على حمص

وحماه ومهاجمة الملك الكامل في مصر[٥٩]، وذلك عندما توجه إليه الأشرف طالباً منه المساعدة ضد الخوارزميين الذينهاجموا جورجيا الواقعة قرب ممتلكاته في خلاط[٦٠] ،ولكن الأشرف بعد إطلاق سراحه عاد وأكد على تحالفه مع الكامل وأخبره بكل ما حدث له من أخيهما المعظم[٦١].

في ظل التطورات المتسارعة في بلاد الشام، وخشية الملك الكامل من أخيه المعظم من ناحية، وتحالف المعظم مع خوارزم شاه، ومع صاحب إربل من ناحية ثانية، لم يكن أمام الكامل إلا البحث عن حلفاء ضد المعظم، وبما أن صليبي الشام لم يكونوا يملكون القوة التي يمكن أن يعول عليها بهذا الخصوص، فإن الكامل لم يكن متاحا أمامه إلا الإمبراطور فردريك الذي كانت البابوية تضغط عليه بشدة للقيام بحملة صليبية جديدة، فسارع إلى مراسلته، وهو ما وجد الإمبراطور فيه فرصة مناسبة للقيام بالحملة[٦٢] ، بعد أن كان مترددا في القيام بذلك.

إن الأحداث المتلاحقة، والخلافات الكبيرة التي بدأت تصل إلى حد الصدام المسلح، يبرز أثر القدس مرة أخرى كقضية مركزية في الأحداث، فقد كانت هي الورقة التي يمكن للملك الكامل من خلالها إغراء الإمبراطور فردريك بقبول عرضه عليه بالتحالف، ولهذا فقد تضمن عرضه عليه بأن يعطيه البيت المقدس، وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل[٦٣]، وهو عرض لم يكن بوسع الإمبراطور رفضه، لوصوله إليه في الوقت المناسب، فسارع بإرسال سفارة استقبالها الكامل استقبالا حسنا[٦٤].

إن القراءة المتأنية للنصوص، تشير أن الملك الكامل كان يدرك تماما ما للقدس من مكانة وأهمية ودور محوري في كل هذه الأحداث، وما يمكن أن تمثله من عامل جامع أو مفرق عند جميع الأطراف، وبالتالي فانه لم يكن ليقدم على هكذا خطوة إلا بعد أن أصبح متيقنا من مايمثله أخيه المعظم من خطر عليه، فهو كان يخشى قوته، لما كان يظنه من ميل عسكر مصر إليه، وكان بسبب ذلك يخشى الخروج إلى الشام[٦٥]، ومن المتوقع أن هذا التخوف قد ازداد بعد تحالف المعظم مع خوارزم شاه ومع صاحب إربل، وهو الأمر الذي رأى فيه الكامل أنه لا تشكل خطرا عليه فحسب، خطرا يتهددالدولة الأيوبية برمتها[٦٦].

يضاف إلى كل هذا أن الكامل علم أن المعظم نفسه قد حاول التحالف مع الإمبراطور فردريك مقابل أن يتنازل له عن بعض المناطق في بلاد الشام، وهو ما جعله يسارع إلى أن يضيف القدس إلى ما عرضه المعظم على الإمبراطور وهو ما يتضح من قوله لأخيه الأشرف بأنه كان مضرا للقيام بذلك بسبب تصرفات المعظم حيث فقال له : "ما أحوجني إلى ذلك إلا المعظم، فإنه أعطى الأنبرور من الأردن إلى البحر، والضياع التي من باب القدس إلى يافا، فأحتجت أنا أن أعطيه القدس أيضا"(٦٧)، ولعل ما يؤكد وجود مفاوضات بين المعظم والإمبراطور هو توجه رسل الإمبراطور بعد اتفاقهم مع الكامل إلى دمشق، وطلبهم من المعظم تسليم البلاد التي فتحها صلاح الدين(٦٨). وهو ما رفضه المعظم وصمم على مواجهته بالقوة، وهو ما اتضح من رده العنيف على مندوب الإمبراطور بقوله : "قل لصاحبك ما عندي إلا السيف"(٦٩). ويبدو أن المعظم قبل قدوم رسل الإمبراطور إليه قد قام بتخريب بعض القلاع في القدس، وعن ذلك يقول المقريزي : "وفيها (سنة ٦٢٤ هـ) وصل رسول الأشكري في البحر إلى الملك الكامل، فسار المعظم من دمشق لتخريب القدس، فخرب قلاعا وعدة صهاريج بالقدس لما بلغه من حركة ملك الفرنج"(٧٠).

يظهر مما سبق أن القدس كان لها الأثر الأكبر في ميل الإمبراطور إلى تفضيل التحالف مع الملك الكامل، ورفضه لعرض المعظم الذي يظهر أنه لم يشمل تسليم القدس التي لم تكن تحت سيطرته آنذاك.

جاءت وفاة المعظم عيسى لتخلط الأوراق في المنطقة من جديد، فقد خلفه في الحكم ابنه الناصر داود الذي كان مايزال في الحادية والعشرين من عمره(٧١). ويبدو أن التحالف الذي أقامه والده المعظم قد أخذ بالانهيار، بدليل أن الملك الكامل قد أخذ يتطلع إلى الاستيلاء على ممتلكاته في بلاد الشام وطرده منها(٧٢).

اتخذ الكامل من العمل على حماية القدس ومنع الصليبيين من السيطرة عليها ذريعة لتوجهه إلى بلاد الشام وطرد الناصر داود منها(٧٣)، وهذا ما يتضح من رده حواره مع أخيه الأشرف حين قال له : "إني ما جئت إلى هذه البلاد إلا بسبب الفرنج، فإنه لم يكن في البلاد من يمنعهم عما يريدونه، وقد عمروا صيدا، وبعض قيسارية، ولم يمنعوا، وأنت تعلم أن عمنا السلطان صلاح الدين قد فتح البيت المقدس، فصار لنا بذلك الذكر الجميل على تقضي

الأعصار وممر الأيام، فإن أخذه الفرنج حصل لنا من سوء الذكر، وقبح الأحدوثة ما يناقض ذلك الذكر الجميل الذي ادخره عمنا، وأي وجه يبقى لنا عند الناس، وعند الله تعالى.

ثم أنهم ما يقنعون حينئذ بما أخذوه، ويتعدون إلى غيره، وحيث قد حضرت أنت فأنا أعود إلى مصر، واحفظ أنت البلاد، ولست بالذي يقال عني أني قاتلت أخي، وحصرته حاشا لله تعالى."[٧٤]

هذا ويشار بهذا الخصوص أن الملك الكامل كان قد تحالف قبل وفاة المعظم مع الإمبراطور فردريك وتنازل له بموجب هذا الحلف عن القدس وغيرها من المناطق الأخرى، وبالتالي فإنه لم يكن صادقا فيما ذهب إليه من الإدعاء بأنه إنما جاء لحماية القدس من الفرنجة، وأنه سوف يرجع إلى مصر، إذ أنه سرعان ما اتفق مع أخيه الأشرف على أخذ دمشق من الناصر داود بسبب رفض الناصر التنازل له عن قلعة الشوبك[٧٥]، وهو ما تم له بالفعل بعد أن حاصرها، واستولى عليها بالقوة[٧٦].

القدس بين الملك الكامل والإمبراطور فردريك

تزامن وصول الإمبراطور فردريك إلى بلاد الشام مع حدوث تغيرات كبيرة على الأوضاع السياسية فيها، إذ توفي الملك المعظم، وتحالف الملك الكامل مع أخيه الأشرف ضد الناصر داود بن المعظم على طرده من دمشق وانتزاعها منه، وهو ما يعني أن الملك الكامل لم يعد بحاجة لحلفه مع الإمبراطور بعد أن أصبح الرجل الأقوى في الأسرة الأيوبية، ولم يعد ثمة خطر يتهدد سلطانه، يضاف إلى كل هذا أن الإمبراطور فردريك لم يحضر معه في حملته جيشا كبيرا[٧٧] ، لدرجة دفعت بعض المؤرخين إلى القول أنه غادر أوروبا ليقوم بنزهة في الشرق يزور فيها سلطان مصر[٧٨].

كان وصول الإمبراطور فردريك بلاد الشام قد تزامن مع حصار الملك الكامل لدمشق، فخشي الكامل أن يقوم الإمبراطور بالتحالف مع الناصر داود ضده، لذلك أخذ في مراسلته ومفاوضته لكسب الوقت، خاصة وأنه لم يعد بحاجة للتحالف معه بعد وفاة المعظم، ولكنه في الوقت ذاته لا يستطيع محاربته حيث شرع الفرنجة بعد وصوله مباشرة في عمارة صيدا التي

كانت مناصفة بينهم وبين المسلمين ولا يحق لهم تعميرها حسب ما جاء في هدنة سابقة بين الطرفين[٧٩].

بعد وصول الإمبراطور فردريك إلى عكا، كان طلبه الأول من الملك الكامل تنفيذ ما تم الاتفاق عليه بينهما، فأرسل إليه رسولا قائل له : "الملك يقول لك كان الجيد والمصلحة للمسلمين أن يبذلوا كل شيء، ولا أجيء إليهم، والآن فقد كنتم بذلتم لنائبي – في زمن حصار دمياط – الساحل كله، وإطلاق الحقوق بالإسكندرية، وما فعلنا، وقد فعل الله لكم ما فعل من ظفركم، وإعادتها إليكم. ومن نائبي إن هو إلا أقل غلماني، فلا أقل من إعطائي ما كنتم بذلتموه له"[٨٠]، ويظهر أن الملك الكامل قد أخذ يتلكأ في تنفيذ اتفاقه مع الإمبراطور[٨١]، ولكن لعدم قدرته على محاربته في الوقت الذي تتعرض فيه المنطقة لخطر الخوارزمية، أراد أن يكسب بعض الوقت يطيل به أمد المفاوضات[٨٢]، لا سيما وأن الهدنة التي تمت عقب جلاء الصليبيين عن مصر لم تنهي بعد، فأرسل إليه الأمير فخر الدين بن الشيخ[٨٣]، فجرت بين الطرفين مراسلات ومفاوضات مطولة، كانت القدس هي النقطة المركزية التي دارت حولها.

إن التغيير الكبير الذي طرأ على الأوضاع في بلاد الشام، جعلت الإمبراطور في موقف حرج، فهو من ناحية لا يستطيع الدخول في صراع عسكري مع الملك الكامل أو غيره من القوى الأخرى، ومن ناحية أخرى فإن عدم تحقيقه للهدف الذي جاء من أجله ربما كان سوف يعني أنه سيفقد عرشه بعد أن كان البابا قد فرض عليه حرمانا دينيا[٨٤]، وهو ما جعل صليبي الشرق يرفضون التعاون معه لأنه في نظرهم مغضوب عليه ومطرود من رحمة الكنيسة [٨٥]، ومما زاد الأمر تعقيدا وصول أنباء إليه مفادها قيام البابا بالاعتداء على ممتلكاته في الغرب[٨٦]، فانه لم يجد أمامه طريقا غير المفوضات التي سوف تستمر لمدة طويلة، وسوف تتمحور حول القدس بشكل رئيس.

حاول الإمبراطور بشتى الطرق إقناع الملك الكامل أن يمنحه نوعا من السيادة، حتى وإن كانت شكلية على مدينة القدس، لأن هذه الوسيلة الوحيدة التي سوف تحفظ له مكانته في الغرب، فركز في رسائله للملك الكامل على أنه ليس له كشخص غرض في القدس، وأن غرضه

فقط هو حفظ مكانته أمام البابا وملوك الغرب[٨٧]، كما أكد في رسائله أنه لا يكن أو يحمل أي عداء للإسلام، وأنه يحترم الدين الإسلامي كاحترامه للديانة المسيحية، فقال : "أنا أخوك واحترم دين المسلمين احترامي لدين المسيح، وأنا وريث مملكة القدس، وقد جئت لأضع يدي عليها، ولا أروم أن أنازعك ملكك، فلنتجنب إراقة الدماء"[٨٨].

حاول الملك الكامل أمام إلحاح الإمبراطور، ورفضه الرجوع إلى بلاده إلا بعد تنفيذ الكامل لما تم الاتفاق عليه بينهما من تسليمه القدس وفتوح صلاح الدين، وهو الذي امتنع الكامل عن تنفيذه[٨٩]، وأخذ يماطله في تنفيذ الاتفاق متذرعا بأنه لا يستطيع التفريط في بيت المقدس،وأن الإمبراطور لم يساعده ضد أخيه[٩٠]، وقد عبر المقريزي عن خوف الكامل هذا بقوله : "وخاف من غائلته، عجزا عن مقاومته، فأرضاه بذلك"[٩١]، وبخاصة أن ابن أخيه الناصر داود بن المعظم استمر في معاداته، وخطر الخوارزمية لم يزل موجودا، يضاف إلى كل هذا قيام الصليبيين بتحصين مدينة صيدا كإشارة منهم إلى الاستعداد للقتال[٩٢]. كما كان الملك الكامل يتعرض للضغط الأمير فخر الدين يوسف بن الشيخ، الذي كان حلقة الوصل بينه وبين الإمبراطور والذي كان يرى أنن على الملك الكامل الالتزام بما وعد، وأن عليه تسليم القدس للإمبراطور[٩٣].

في ظل كل المتغيرات، وافق الملك الكامل في نهاية الأمر، على تنفيذ اتفاقه مع الإمبراطور فردريك[٩٤]، وقد نص الصلح بينهما فيما يتعلق بالقدس على أن يبقى المسجد الأقصى والصخرة بيد المسلمين ويمارسون فيها الشعائر الدينية من أذان وصلاة، ولا يسمح للصليبيين بدخولهما إلا للزيارة فقط، ويحظر عليهم تعمير أسوارها، وفي مقابل ذلك يتعهد الإمبراطور بالمشاركة في الدفاع عن الملك الكامل ضد أي عدو حتى ولو كان من الإفرنج، وتعهد الإمبراطور بعدم تقديم أية مساعدة للمالك الصليبية في بلاد الشام [٩٥].

بعد توقيع الاتفاق، استأذن الإمبراطور من الملك الكامل في زيارة القدس، وهي الزيارة التي تسهب المصادر التاريخية في الحديث عنها، فقد وصف المقريزي ما حصل فيها بقوله : "....وبعث الإمبراطور بعد ذلك يطلب تبنين وأعمالها، فسلمها الكامل له، فبعث يستأذن في دخول القدس، فأجابه الكامل إلى ما طلبه، وسير القاضي شمس الدين قاضي نابلس في

خدمته، فسار معه إلى المسجد بالقدس، وطاف معه ما فيه من المزارات، وأعجب الإمبراطور بالمسجد الأقصى وبقبة الصخرة، وصعد درج المنبر، فرأى قسيسا بيده الإنجيل، وقد قصد دخول المسجد الأقصى، فزجره وأنكر مجيئه، وأقسم لئن عاد أحد من الفرنج يدخل هنا بغير إذن ليأخذن ما في عيناه، "فإنما نحن مماليك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده، وقد تصدق علينا وعليكم بهذه الكنائس، على سبيل الإنعام منه، فلا يتعدى أحد منكم طوره، فانصرف القس وهو يرتعد خوفا منه". ثم نزل الملك في دار، وأمر شمس الدين قاضي نابلس المؤذنين ألا يؤذنوا تلك الليلة، فلم يؤذنوا ألبتة، لما أصبح قال الملك للقاضي : "لم لم يؤذن المؤذنون على المنابر؟" فقال له القاضي: " منعهم الملوك إعظاما للملك واحتراما له". فقال له الإمبراطور : أخطأت فيما فعلت، والله إنه كان أكبر غرضي في المبيت بالقدس أن أسمع أذان المسلمين وتسبيحهم في الليل"[٩٦].

قوبل ما أقدم عليه الملك الكامل من اتفاق مع الإمبراطور بموجة عارمة من السخط والاستنكار في مختلف مناطق الدولة الإسلامية[٩٧]، فقد أنكر الناس هذا العمل[٩٨]، أما في القدس نفسها فقد احتج الأئمة والمؤذنون على ذلك، فقد ذكر بدر الدين العيني ذلك بالقول : "وحضر الأئمة والمؤذنون الذين كانوا في الصخرة والمسجد الأقصى إلى باب دهليز الملك الكامل، وأذنوا على باب الدهليز في غير وقت الأذان، فعز ذلك على الملك الكامل، وأمر أن يؤخذ ما معهم من الستور والقناديل الفضة وجميع الآلات، ويتوجهوا إلى حال سبيلهم"[٩٩]. وقال ابن واصل عن : " وقع في أهل القدس الضجيج والبكاء، وعظم ذلك على المسلمين وأنكروا على الملك الكامل هذا الفعل واستشنعوه منه"[١٠٠].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل عم السخط الشعراء[١٠١]، والفقهاء، وحاول بعض أمراء البيت الأيوبي استغلال الموقف لتأليب الناس ضد الملك الكامل، فذكر سبط بن الجوزي ذلك قائلا : "لما وصلت الأخبار بتسليم القدس للفرنج قامت القيامة في جميع بلاد الإسلام، واشتدت العظائم بحيث أنه أقيمت المآتم"[١٠٢]، ويضيف أن الناصر داود قد طلب منه أن يجلس للوعظ في جامع دمشق، وأن يتحدث عما جرى في بيت المقدس، وهو (ابن الجوزي) لم يكن بإمكانه مخالفته من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الحمية للدين وللإسلام كانت تدفعه للموافقة على هذا

الطلب، فألقى خطبة مطولة في حضور الناصر وجمع غفير من أهل دمشق جاء فيها: "انقطع عن بيت المقدس وفود الزائرين، يا وحشة المجاورين! كم كانت لهم في تلك الأماكن من ركعة؟! كم جرت لهم على تلك المساكن من دمعة؟! تالله لو صارت عيونهم عونا لما وفت، ولو تقطعت قلوبهم أسفا لما اشتفت، أحسن الله عزاء المؤمنين، يا خجلة ملوك المسلمين لمثل هذه الحادثة تسكب العبرات، لمثلها تتقطع القلوب من الزفرات، لمثلها تعظم الحسرات..."(١٠٣).

حاول الملك الكامل جاهدا تبرير ما قام به، وتهوينه والتقليل من أهميته، فقد بعث رسائل بذلك إلى المناطق المختلفة، وإلى الخليفة العباسي في بغداد جاء فيها : "إنا لم نسمح للفرنج إلا بكنائس وأدر خراب، والمسجد على حاله، وشعار الإسلام قائم، ووالى المسلمين متحكم في الأعمال والضياع "(١٠٤)، ويذهب ابن واصل إلى القول أن الملك الكامل كان يرى كان أنه : "أنه إن شاقق الإمبراطور ولم يفي له بالكلية أن يفتح له باب محاربة الفرنج، ويتسع الخرق ويفوت عليه خرج بسببه، فرأى أن يرضي الفرنج بمدينة القدس خرابا ويهادنهم مدة، ثم هو قادر على انتزاع ذلك منهم متى شاء"(١٠٥)، يقول أيضا: "إن الفرنج لا يمكنهم الامتناع بالقدس مع خراب أسواره، وأنه إذا قضى غرضه واستتبت الأمور له. كان متمكنا من تطهيره من الفرنج وإخراجهم منه"(١٠٦).

يلاحظ مما سبق، أن قضية القدس، كانت هي القضية المحورية في الأحداث، بحيث كان التنازل عنها يعد كارثة ومصيبة كبرى التي تقام لأجلها المآتم، وأن كل المبررات التي قدمها الملك الكامل لقيامه بذلك، لم تكن لتلقى قبولا من أحد.

أثر القدس في المراحل المتأخرة من الحكم الأيوبي

بعد وفاة الملك الكامل عادت الخلافات لتظهر بين أمراء الأسرة الأيوبية من جديد، فقد تحالف الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق والملك المنصور صاحب حمص، وضما إليهما بعض صليبيي الشام، ضد الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وحاولوا القيام بحملة عليه في مصر ولكنهم فشلوا في ذلك(١٠٧)، وكان الناصر داود سارع إلى السيطرة على القدس بعد وفاة الكامل متذرعا بنقض الصليبيين للصلح الموقع بين الملك الكامل والإمبراطور فردريك بعد قدوم حملة صليبية جديدة إلى عكا(١٠٨).

بعد فشل محاولات للصلحبين الأمراء الأيوبيين[١٠٩]، تحالف الصالح إسماعيل والناصر داود ضد الصالح أيوب، ثم تحالفوا مع الصليبيين على أن يسلموا لهم القدس وأن يعملوا على إعادة مملكة بيت المقدس اللاتينية إلى ما كانت عليه قبل تحريرها من قبل صلاح الدين، كذلك وعدوهم بأن يعطوهم جزءا من مصر في حال نجحوا في أخذها من الصالح أيوب[١١٠].

أما الصالح أيوب، فقد حاول هو أيضا التحالف مع الصليبيين، وعرض عليهم مقابل تحالفهم معه نفس العرض الذي عرضه الصالح إسماعيل والناصر داود[١١١]، أي أن تكون سيطرتهم على القدس كاملة[١١٢]، ولكن الصليبيين اختاروا الانضمام إلى الصالح إسماعيل والناصر داود[١١٣]، واتفقوا معهم على مهاجمة مصر[١١٤] بعد أن يقوما بتسليمهم بعض القلاع في بلاد الشام[١١٥].

إن هذا الاتفاق كان يعني أن تكون سيطرة الصليبيين على القدس كاملة بما فيها الأماكن المقدسة سيطرة تامة، وهي المناطق التي تم استثنائها في اتفاق الملك الكامل مع الإمبراطور فريدرك، ولعل ما يؤكد ذلك قول ابن واصل عن ذلك : "وسافرت في أواخر هذه السنة لإلى الديار المصرية. ودخلت البيت المقدس، ورأيت الرهبان والقسوس على الصخرة المقدسة. وعليها قناني الخمر برسم القربان. ودخلت الجامع الأقصى، وفيه جرس معلق. وأبطل بالحرم الشريف الأذان والإقامة، وأعلن فيه الكفر. وقدم الناصر داود القدس في ذلك اليوزم الذي زرت فيه القدس، ونزل غربي القدس، فلم أجتمع به خيفة أن يصدني الوصول إلى الديار المصرية. ووصلت إلى غزة فوجدت بها بعض عسكر الملك الصالح إسماعيل نازلين بها"[١١٦].
لم يعد أمام الصالح أيوب أمام هذا التحالف إلا الاستنجاد بالخوارزمية الذين رحبوا بذلك، وسارعوا إلى الدخول إلى القدس سنة ٦٤٢ هـ/١٢٤٤م[١١٧]، وهزموا قوى الأيوبيون والصليبيين قرب غزة[١١٨].

يلاحظ أن القدس كانت مرة أخرى نقطة مركزية في الصراع بين الحكام المسلمين أنفسهم، حيث حاول كل طرف من الأطراف المتصارعة التحالف مع الصليبيين وكسبهم إلى جانبه ضد الطرف الأخر، ولم يجد هؤلاء أمامهم إلا إغراء الصليبيين بالتنازل لهم عن القدس مقابل التحالف معهم، بل إنهم أبدوا استعدادهم لأن تكون سيطرة الصليبيين عليها كاملة، وليس فقط كما فعل الملك الكامل عندما استثنى الأماكن المقدسة من ذلك، وعن هذا يقول سعيد عاشور أن الأمراء الأيوبيون(الصالح أيوب والصالح إسماعيل والناصر داود) قد أقروا في سنة ٦٤١ هـ/ ١٢٤٣-١٢٤٤"مبدأ استيلاء الصليبيين على الحرم الشريف ووضع أيديهم على المقدسات الإسلامية في بيت المقدس"[١١٩].

الخاتمة

أظهرت الدراسة أن القدس كانت دائما النقطة المحورية والمركزية في الصراع بين الحكام المسلمين أنفسهم، وأن الحكام الأيوبيين كانوا دائما مستعدين للاتخاذ من أهمية القدس ومكانتها ورقة للتحالف مع الصليبيين ضد بعضهم البعض، وأنهم لم يترددوا في التنازل لهم عنها مقابل، وذلك على النحو التالي :

- في الحملة الصليبية الخامسة، عرض الأيوبيين على الصليبيين التنازل لهم عنها مقابل انسحابهم عن مصر، كما استخدمها كل من المعظم عيسى والملك الكامل كورقة للتحالف مع الإمبراطور فردريك،وأن الملك الكامل قد تنازل فعلا للصليبيين عنها بعد ذلك.
- كما يتضح أن كل طرف من الأطراف المتصارعة كان دائما يحاول التخفيف من حدة ردة الفعل إزاء ما يقوم به تجاه المدينة فقد صور الإمبراطور فردريك للملك الكامل أن تسلميه للقدس ليس أكثر من إجراء شكلي، أما الملك الكامل فقد صور هو تنازله عنها للإمبراطور بأنه إجراء شكلي ليس أكثر، لأن المدينة لم تكن محصنة، وأن المسلمين بإمكانهم استعادتها بسهولة متى شاءوا ذلك.
- كانت القدس النقطة المركزية التي أستخدمها الأمراء الأيوبيين في الفترة المتأخرة من حكمهم من أجل إغراء الصليبيين بالتحالف معهم كما فعل كل من الصالح إسماعيل والناصر داود في صراعهم مع الصالح أيوب، فعرضوا عليهم الاستيلاء القدس بما في ذلك الأماكن المقدسة، وهو الأمر ذاته الذي كان الصالح أيوب مستعدا للقيام به لإقناع الصليبيين بالتحالف معه.
- أن الناس كان دائما ينتابهم السخط لما كان يلحق بالقدس نتيجة لهذه التصرفات، حتى عندما كان الغرض من وراء ذلك هو حمايتها والحفاظ عليها كما فعل المعظم عيسى، ولم يقبلوا بالمبررات التي قدمها كل من الملك الكاملوالصالح إسماعيل والناصر داود للتازل عنها.

الهوامش

(١) عن ذلك أنظر : غنيم، أسمت، تاريخ الحروب الصليبية، ١٩٩٦، ص ١١-١٨؛ عمران، محمد سعيد. تاريخ الخروب الصليبية ١٠٩٥ – ١٢٩١، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (ب،ت)،ص ١٧ – ٣٣؛ المطوي، محمد العروسي، الحروب الصليبية، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الثنية، ١٩٨٢، ص ٢٩ – ٣٥.

(٢) أنظر : عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢١.

(٣) مؤتمر كليرمونت : مؤتمر كليرمونت : عقد من ١٨-٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني)، وحضره حوالي ٣٠٠ من رجال الدين، وكان من الغرض من عقده بحث المراسيم التي تحظر الاحتفالات بتقليد المناصب الدنوية، زواج رجال الدين وغير ذلك. أمظر : رينسمان، تاريخ الحملات الصليبية، من كليرمونت إلى أورشليم، ترجمة نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية (ب،ت)، الجزء الأول، ص ١٨٨-١٩١.

(٤) رينسمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج ١، ص ١٨٩-١٩٠؛ عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٢. وأنظر : العروسي، الحروب الصليبية، ص ٣٠.

(٥) رينسمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج ١، ص ١٨٨، ١٩٠؛ غنيم، أسمت، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٠؛ عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٥ – ٢٦؛ العروسي، الحروب الصليبية، ص ٣١ – ٣٣.

(٦)عن ذلك أنظر : ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزرى الشيباني. الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ، الجزء التاسع، ص، ١٩ وما بعدها؛ الأغا، حسام حلمي يوسف، الأوضاع الاجتماعية في فلسطين في زمن الحروب الصليبية (٤٩٢-٦٩٠ هـ/١٠٩٩-١٢٩١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الدجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧م، ص ٣٨-٤٠.

(٧) أنظر : الدواداري، أبي بكر بن عبد الله بن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السابع من الدرر المطلوب في أخبار بني أيوب، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٣٩١ هـ، ١٩٧٢م، ص ٨٩؛ أبي شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠٢م، الجزء الثالث، ص ٢٥٣-٢٥٥؛ عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٠٩ وما بعدها.

(٨) عدنما فتح صلاح الدين حلب، كتب إليه القاضي محي الدين بن زنكي من دمشق قائلا :

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص ٧٥؛ وأنظر : كلوب، فارس. القدس النقطة المركزية في حياة صلاح الدين، مجلة دراسات بيت المقدس، العدد الثاني، رقم ١، شتاء ١٩٩٨، ص ١٧ – ٣٦.

(٩)ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق حسنين محمد ربيع، مراجعة وتقديم سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، وزارة التربية والتعليم، إدارة الثقافة العامة، المطبعة الأميرية، القاهرة، الجزء الثاني، ص ٢١١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص١٥٤.

(١٠)عن ذلك انظر : ابن واصل، ابن، مفرج الكروب، ج ٢، ص ٢١١–٢١٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج ١٠، ص ١٥٥ – ١٥٧؛ العيني، بدر الدين محمود. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (العصر الأيوبي)، تحقيق ودراسة محمود رزق محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م، الجزء الرابع، ص ٧٦؛ الحنبلي، أبو اليسر مجير الدين العليمي. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، إعداد وتحقيق ومراجعة عدنان يونس أبو تبانة، مكتبة دنديس، الخليل، عمان،١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، الجزء الثاني، ص ٤٧؛ ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م، الجزء السادس عشر، ص ٥٨٦ – ٥٨٧؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، ص ٦٤٤ – ٦٤٩؛ لين بول، ستانلي. صلاح وسقوط مملكة بيت المقدس، ترجمة فاروق سعد أبو جابر، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩، ص الدين ١٩٤؛ قاسم، عبده قاسم. ماهية الحروب الصليبية، ١٤٩، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (ب،ت)، ص ١١٨ – ١١٩؛ قلعجي، قدري. صلاح الدين الأيوبي، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٢، ص ٣٤٥.

(١١) عن ذلك أنظر:ابن شداد، القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع. سيرة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"، تحقيق أحمد أبيش، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م،ص ١٦١ – ١٦٢؛أبي شامة، الروضتين، ج ٣، ٢١٢ وما بعدها؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ٢١٠–٢١١؛ الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ١٥٨؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢، ص ٢٢٨–٢٣٠؛الحنبلي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٤٧٤ – ٤٨٣؛ قاسم، ماهية

الحروب الصليبية، ص ١١٨ – ١١٩.

(١٢) عن ذلك أنظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ١٨٣ – ١٨٤؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، ص ٦٦٤ وما بعدها؛ قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص ١٩؛ شاهين، رياض مصطفى. هدنة الرملة والظروف المحيطة بها، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد التاسع، العدد الأول، ٢٠٠١، ص ٣٦٧؛ النخيلي، درويش. السفن الإسلامية على الحروف المعجم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩، ص ٨٣؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح. أوروبا في العصور الوسطى، التاريخ السياسي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٩٨٣، الجزء الأول، ص ٤٦٦–٤٦٧؛ نوري، دريد عبد القادر. سياسة صلاح الدين الأيوبي في مصر والشام والجزيرة، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٦، ص ٣٢١؛

H.E. Mayer, The Crusades, translated by Gillingham, Oxford, 1972, p 4-5.

(١٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص١٨٤ – ١٨٣؛ عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج ١، ص ٤٦٦–٤٦٧؛ نوري، سياسة صلاح الدين الأيوبي، ص ٣٢١.

(١٤) أنظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٢٠٤–٢١٧؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، ص ٦٨٧ – ٦٩٠؛ رينسمان، ستيفن. تاريخ الحروب الصليبية، المجلد الثالث، القسم الأول، مملكة عكا والحملات الصليبية المتأخرة، نقله إلى العربية الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م/ ١٤١٧هـ، الجزء الثالث، ص ١٠٩ – ١١٥.

Richard of Holy Trinity Itinerary of Richard I and others to the Holy Land (Fromerlyascribed to Geoffrey de Vinsauf), translated by A ClassicalScholar and A Gentleman well – Read in mediaevalhistory. In parentheses Publications, Medieval Latin Series, Cambridge, Ontario 2001, p 215 and after, Ambroise, The crusade, p 250 and after.

(١٥) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٢٢٣؛ أبي شامة، الروضتين، ج ٣، ٢١٢ وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢١٨–٢١٩؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، ٦٩٠ – ٦٩٣.

Richard of Holy Trinity, op, cit, p 215 and after, Ambroise, The crusade, op, cit, p 250 and after.

(١٦) مؤنس، محمد أحمد عوض. في الصراع الإسلامي – الصليبي (معركة أرسوف ١١٩١م/ ٥٧٧هـ)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٨٧م، ص ٤٣.

(١٧) عن ذلك أنظر:أبي شامة، الروضتين، ج ٤، ص ١٨١-١٩١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢١٨؛ الطل، عثمان. رؤية تاريخية لقضية القدس في المفاوضات بين صلاح الدين الأيوبي والملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد : ٥٨٣ – ٥٨٨ هـ / ١١٨٧ – ١١٩١م، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، العدد ١٢٦، السنة ٣٢، ربيع ٢٠١٤، ص ٤٨ – ٦٥.

(١٨)أبي شامة، الروضتين، ج ٤، ص ١٦٠-١٩١؛ الطل، عثمان. رؤية تاريخية، ص ٣٩ – ٧٦.
(١٩) عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٢٥.

(٢٠) أنظر: عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٢٧.

(٢١) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الجزء الثالث عصر صلاح الدين وأخيه الملك العادل ٥٩٠-٦١٥ هـ، ص ٢٥٨. عن الاهتمام المبكر للصليبيين بمصر أنظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح. الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦،ص ٩ – ١٤.

(٢٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ص ٢٧٠ وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣٧٧.

(٢٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج، ٣، ص ٢٥٧ – ٢٦٠، ٢٧٠؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ٣١٠، ٣١٣؛ أبي شامة، الروضتين، ج ٥، ص ١٧٠.

(٢٤) المقريزي، السلوك، ج ١، ٣١٤، ٣٢٠؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٩٢.
(٢٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٠٢؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ٣١٤؛ ابن واصل، مفرج الكروب،ج، ٤، ص ١٧-١٩؛ الداودري، كنز الدرر، ج ٧، ص ١٩٨-٢٠٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣٧٧ وما بعدها؛ عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٩١ – ٩٢.

(٢٦) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠ ، ص ٣٧٧ – ٣٧٨ (حوادث سنة ٦١٤ هـ)؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٩، ٣٢؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٢١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٧٠، ٨٠ – ٨١؛ أبي الفدا، المختصر، ج ٣، ص ١٢٢.

(٢٧) أبي شامة، الروضتين، ج ٥، ص ١٧٤-١٧٥ (حوادث سنة ٦١٦ هـ). أنظر أيضا : المقريزي، السلوك، ج١، ص ٣٢١؛ الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص ٢٠٢.

(٢٨) أبي شامة، الروضتين، ج ٥، ص ١٧٤ – ١٧٥(حوادث سنة ٦١٦ هـ). أنظر أيضا : المقريزي، السلوك، ج١، ص ٣٢١؛ الدواداري، ج ٧، ص ٢٠٢.

(٢٩) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٣٢١ . أبي شامة، الذيل على الروضتين، ج ٥، ص ١٧٤ – ١٧٥(حوادث سنة ٦١٦ هـ). أنظر أيضا : المقريزي، السلوك، ج١، ص ٣٢١؛ الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص ٢٠٢.

(٣٠) أبي شامة، الذيل على الروضتين، ج ٥، ص ١٧٤ – ١٧٥(حوادث سنة ٦١٦ هـ). أنظر أيضا: المقريزي، السلوك، ج١، ص ٣٢١؛ الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص ٢٠٢.

(٣١) أبي شامة، الذيل على الروضتين، ج ٥، ص ١٧٤ – ١٧٥(حوادث سنة ٦١٦ هـ). أنظر أيضا: المقريزي، السلوك، ج١، ص ٣٢١؛ الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص ٢٠٢.

(٣٢) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٣٢١ .

(٣٣) قال أحد الشعراء :

في رجب حل الحميا وأخرب القدس في المحرم
وأنشد قاضي الطور مجد الدين محمد بن عبد الله الحنفي عن ذلك قائلا :
مررت على القدس الشريف مسلما على ما تبقى من ربوع كأنجم
ففاضت دموع العين مني صبابة على ما مضى من عصرنا المتقدم
رام علـج أن يـــعفـى رســومه وقد شمر عن كفي لئيم مذمم
فقلت له شلـــت يميـنك خلها لمعتبر أو سائل أو مسلم
فلو كان يفدى بالنفوس فديته بنفسي وهذا الظن في كل مسلم.

أنظر : أبي شامة، الذيل على الروضتين، ج ٥، ص ١٧٤ – ١٧٥(حوادث سنة ٦١٦ هـ). أنظر أيضا : المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٢١؛ الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص ٢٠٢.

(٣٤) رينسمان، الحروب الصليبية، ج ٣، ص ٢٨٠. أنظر : المقريزي، السلوك، ج ١، ص٣٢١.

(٣٥) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣٧٩ (حوادث سنة ٦١٤ هـ)؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٢٧. أنظر : ابن واصل، وفرج الكروب، ج ٤، ص ٩٥.

(٣٦) رينسمان، الحروب الصليبية، ج٣، ص ٢٨٦.

(٣٧) ابن الوردي، زين الدين عمر. تاريخ ابن الوردي (ب،ن)، (ب،ت)، الجزء الثاني، ص ١٤٢ (حوادث سنة ٦١٨ هـ)؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ص٣٢٧،وأنظر : أبي الفدا، المختصر، ج ٣، ص ١٢٩؛ ابن الوردي، ج ٢، ص ١٤٢ – ١٤٣.

(٣٨) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٢٧.

(٣٩) الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص ٢٠٩ – ٢١٠. وأنظر : المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٢٧؛ أبي الفدا، المختصر، ج ٣، ص ١٢٩؛ ابن الوردي، ج ٢، ص ١٤٢ – ١٤٣؛ عاشور، فايد حماد محمد. الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، دار الاعتصام، القاهرة (ب،ت)، ص ٣١٨.

(٤٠) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٢٧؛ أبي الفدا، المختصر، ج ٣، ص ١٢٩؛ ابن الوردي، ج ٢، ص ١٤٢ – ١٤٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣٧٩.

(٤١) رينسمان، الحروب الصليبية، ج٣، ص ٢٨٦ –٢٨٧.

(٤٢) عمران، الحروب الصليبية، ص ٢٥٧، وأنظر : عاشور، فايد، الجهاد الإسلامي، ص ٣١٢.

(٤٣) أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣٧٩–٣٨٠؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٩٧–٩٨.

(٤٤) أنظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٩٢–١٠٥؛ عمران، الحروب الصليبية٢٥٧–٢٦٥.؛ عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص٩٦ – ٩٧.

(٤٥) أنظر:أنظر: ابن الأثي، الكامل، ج ١٠، ص ٣٧٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٩٢.

(٤٦) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٣٥، وأنظر : عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٩٩.

(٤٧) لمقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٣٩.

(٤٨) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٤٣–٣٤٤؛ ابن واصل، وفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٥.

(٤٩)المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٤٤؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٧.

(٥٠) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٤٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٦– ١٧٧، ٢٠٦.

(٥١) تجمع المصادر على الملك فردرك كان مثقفا، فقد قال عنه العيني : " "وكان الأمبرور ملكا متميزا

عالما، يحب الحكمة والمنطق والطب... ". العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٩٦؛ ويقول الدواداري في هذا الخصوص : "وقالوا عنه أيضا: ولما آتى وقت الظهر، أذن المؤذنون، فقام هو ومن كان معه من جماعته فصلوا. وكان معلمه الذي آتى معه من صقلية، يقرأ عليه المنطق، وقيل أنه كان مسلما في الباطن".الدواداری الدرر، ج ٧، ص ٢٩٣ – ٢٩٤؛ وذكر العيني أنه كان دهريا لا يؤمن بدين العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٠٨؛ وقال عنه ابن الوردي : " وكان فرنجيا فاضلا محبا للحكمة والمنطق...".ابن الوردي، ج ٢، ص ١٥٠؛ وأنظر : ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٤٨–٢٤٩. كما تذكر المصادر أنه وإنه لم يكن يحمل كرها كبيرا للمسلمين بحكم نشأته في جزيرة صقلية التي كانت تسودها الحضارة الإسلامية، وعن ذلك قال عنه ابن الوردي : "وكان فرنجيا فاضلا محبا للحكمة والمنطق مائلا إلى المسلمين لان منشأه بجزيرة صقلية وغالبها مسلمون...".ابن الوردي، ج ٢، ص ١٥٠.

(٥٢) أنظر : عمران، الحروب الصليبية، ص ٢٨٠.

(٥٣) عمران، الحروب الصليبية، ص ٢٨٠.

(٥٤) كان الإمبراطور على خلاف مع البابا لأسباب تتعلق بالصراع الذي كان يجري في أوروبا بين البابوية والإمبراطورية الرومانية المقدسة، وبسبب الضغط الذي كان يمارسه البابا على الإمبراطور للقيام بحملة صليبية تستعيد القدس، وهو الأمر الذي كان مترددا من القيام خوفا من قيام البابا بالاعتداء على ممتلكاته أثاء غيابه في الشرق. عن ذلك أنظر : عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى : التاريخ السياسي، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥، ص ٣٨٣ – ٣٨٦؛ عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٠٢؛ ؛ عمران، الحروب الصليبية، ص ٢٨٨.

(٥٥) أنظر : عمران، الحروب الصليبية، ص ٢٨١؛ رينسمان، الحروب الصليبية، ج ٣، ٣١٥.

(٥٦) أنظر : المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٤٥،وأنظر : ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٥–١٨٠؛ عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٠١– ١٠٢.

(٥٧) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٥.

(٥٨) أبي شامة، الذيل على الروضتين، ج ٥، ص ١٣٨ – ١٤٣.

(٥٩) ابن واصل، وفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٠٥؛ عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٠١.

(٦٠) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٩ – ١٨٠؛ عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٠٠ – ١٠١.

(٦١) ابن واصل، وفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٠٦.

(٦٢) أنظر : المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٤٥؛ عاشور، أوروبا، ص ٣٨٣ – ٣٨٦.

(٦٣) العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٥٢.

(٦٤) عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٠٢؛ عمران، الحروب الصليبية، ص ٢٨٤–٢٨٥.

(٦٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٠٩. أنظر : المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٣٩، ٣٣٣ – ٣٣٤، ٣٤٥، ٣٤٦.

(٦٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٠٦؛ عمران، الحروب الصليبية، ص ٢٨٤.

(٦٧) الدواداری، كنز الدرر، ج ٧، ص ٢٩٣.

(٦٨) العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٥٣؛ الدواداری، كنز الدرر، ج ٧، ص ٢٨٤.

(٦٩) العيني ، عقد الجمان، ج ٤، ١٥٣ ؛ وأنظر: الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص٢٨٤؛ أبي شامة، الروضتين، ج ٥، ص ٢٢٩؛ عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٠٢.

(٧٠) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٤٦.

(٧١) أنظر : ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢١٨–٢١٩، ٢٢٤.

(٧٢) أنظر : ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٢٥ – ٢٢٧؛ أبي شامة، الذيل على الروضتين، ج ٥، ص ٢٢٥ – ٢٢٧؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٤٦، ٣٤٩. أنظر : ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٢٤ – ٢٢٧.

(٧٣) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٧٩ (حوادث سنة ٦٢٥ هـ)، المقريزي، السلوك، ج ١، ٣٤٩ – ٣٥٠.

(٧٤) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٧٩ (حوادث سنة ٦٢٥ هـ)؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٩٧؛ وأنظر: ابن واصل، وفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٢٨.

(٧٥) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٧٩ (حوادث سنة ٦٢٥ هـ)؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٩٧' وأنظر : ابن واصل، وفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٢٨. ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٧٩

(حوادث سنة ٦٢٥ هـ)؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٩٧' وأنظر : ابن واصل، وفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٢٨.

(٧٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٢٧-٢٤٠؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٤٩-٣٥٤؛ عمران، الحروب الصليبية، ص ٢٨٥.

(٧٧) أنظر : عاشور، الأيوبيين والمماليك، ص ١٠٣، ١٠٧.

(٧٨) أنظر : عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص١٠٤.

(٧٩) أنظر : المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٥١؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٣٤ – ٢٣٥؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٩٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٧٨ (حوادث سنة ٦٢٥ هـ)؛ عمران، الحروب الصليبية، ص ٢٩٣.

(٨٠) أنظر : ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٤١.

(٨١) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٥١.

(٨٢) أنظر : عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٠٦.

(٨٣) أنظر : العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٩٦؛ المقريزي، السلوك، ص ٣٥١؛ وأنظر : ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٤٢.

(٨٤) رينسمان، الحروب الصليبية، ج ٣، ٣١٧ – ٣١٨؛ عمران، الحروب الصليبية، ص ٢٨٨ – ٢٩٩.

(٨٥) أنظر : رينسمان، الحروب الصليبية، ج ٣، ٣٢٤ – ٣٢٦؛ عمران، الحروب الصليبية، ص ٢٩١.

(٨٦) أنظر : عمران، الحروب الصليبية، ص ٢٩١ – ٢٩٢؛ عاشور، أوروبا، ص٣٨٦.

(٨٧) جاء في إحدى رسائله إلى الملك الكامل قوله : "أنا عتيقك. وتعلم أني أكبر ملوك الفرنج وأنت كاتبتني بالمجيء. وقد علم البابا والملوك باهتمامي. فإن رجعت خائبا انكسرت حرمتي. وهذه القدس فهي أصل دين النصرانية، وأنتم قد خربتموها، وليس لها (دخل) طائل. فإن رأيت أن تنعم علي بقصبة البلد ليرتفع رأسي بين الملوك وأنا ألتزم بحمل دخلها لك. فلان له الكامل وجاوبه أجوبة غليظة، وباطنها

نعم"[٨٧]. أنظر : الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت (ب،ت)، الجزء الثالث، ص، ١٩٥؛ وجاء في رسالة أخرى قوله : " أنا مملوكك وعتيقك، وليس لي عما تأمره خروج، وأنت تعلم أني أكبر ملوك البحر، وقد علم البابا والملوك باهتمامي وطلوعي فإن رجعت خائباً انكسرت حرمتي بينهم، وهذه القدس فهي أهل اعتقادهم وضجرهم، والمسلمون قد أخرجوها فليس لها دخل طائل، فإن رأى السلطان أن ينعم علي بقبضة البلد الزيارة، فيكون صدقة منه، ويرتفع رأسي بين ملوك البحر". أنظر : دعكور، الدولة الأيوبية، ص ٢٠١؛ الصلابي، الأيوبيون بعد صلاح الدين، ٢٤٥؛ وذكر ابن واصل أن الإمبراطور قال للأمير فخر الدين : " لولا أني أخاف انكسار جاهي عند الفرنج، لما كلفت السلطان شيئا من ذلك، وما لي غرض في القدس ولا غيره، وإنما قصدت حفظ ناموسي عندهم" أنظر : ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٤٣؛ المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٣٥٤.

(٨٨) دعكور، عرب، الدولة الأيوبية، تاريخها السياسي والحضاري، دار المواسم، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٢١٣؛ الصلابي، علي محمد، الأيوبيون بعد صلاح الدين والحملات الصليبية من الرابعة إلى السابعة، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢٤٥.

(٨٩) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٤١.

(٩٠) أنظر: عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٠٧.

(٩١) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٥٤، وأنظر ابن واصل، وفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٣٤.

(٩٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٣٥.
(٩٣) أنظر : المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٥٣.

(٩٤) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٥٤؛ العيني ، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٠٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص

(٩٥) عن هذه البنود أنظر : ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٤١-٢٤٢؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ٣٥٣؛ عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٩٣.

(٩٦) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٥٣ – ٣٥٤.وأنظر : ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ٢٤٤ – ٢٥٥؛ الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص ٢٩٣ – ٢٩٤.

(٩٧) يصف المقريزي مدى الأسى الذي حل بالمسلمين لضياع بيت المقدس فيقول " فاشتد البكاء وعظم الصراخ والعويل.....وعظم على أهل الإسلام هذا البلاء. واشتد الإنكار على الملك الكامل، وكثرت الشناعات عليه في سائر الأقطار....."المقريزي، السلوك، ج ١، ص٣٥٤، أما ابن الأثير فقال : " فاستعظم المسلمون ذلك وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لم يمكن وصفه"، ابن الأثير، الكامل، ص ١٩٤٠ (حوادث سنة ٦٢٦هـ). (طبعة دار الأفكار الدولية، الأردن، السعودية، عناية أبو صهيب الكرمي (ب، ت)، وقال الذهبي : "فيها (سنة ١٢٦ هـ) أخلى الكامل البيت المقدس وسلمه إلى الأنبرور ملك الفرنج. فإنا لله وإنا إليه راجعون. فكم بين من طهره من الشرك ومن أظهر الشرك عليه. ثم اتبع فعله بحصار دمشق وأذية الرعية"، الذهبي، العبر، ج ٣، ١٩٧.

(٩٨) العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٠٥.

(٩٩) العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٠٧؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٥٤.

(١٠٠) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٤٣.

(١٠١) كان مما قيل في رثاء القدس:

عزيز علينا أن نرى القدس يخرب وشمس مبانيه تزول وتغرب
وقلت له : منا الدموع لأنه على مثله تجرى الدموع وتسكب.
العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٠٥.
وأورد سبط بن الجوزي، أبياتا من قصيدة في حديثه في جامع دمشق فقال :
على قبة المعراج والصخرة التي تفاخر ما في الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات.

العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٠٦؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٥٥ – ٣٥٦؛ الدوادارى، كنز الدرر، ج ٧، ص ٢٩٥؛ وأنظر : ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ١٥٠ – ١٥١ (حوادث سنة ٦٢٥، ٦٢٦ هـ)؛ وأنظر : ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤، ص ٢٤٥ – ٢٤٦.

وروى البعض أن فقيرا بات في القدس، فسمع قائلا يقول في الليل هذه الأبيات:

إن يكن بالشام قل نصيري وتهدمت ثم دام هلوكي
فلقد أصبح الغداة خراب سمة العار في حياة الملوك.

العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٠٧.

(١٠٢) العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٠٦.

(١٠٣) العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٠٦؛ الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص ٢٧٥

(١٠٤) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٥٤.

(١٠٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص٢٤٢.
(١٠٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٤٣ – ٢٤٤.

(١٠٧) أنظر : المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤٠٧؛ الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص ٣٥٤؛ عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٢٠ – ١٢١.

(١٠٨) أنظر : المقريزي، السلوك، ج ١، ٣٩٩ – ٤٠٠؛ عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١١٨ – ١١٩؛ عاشور، فايد حماد محمد، الجهاد الإسلامي عاشور، ص ٣٤٦.

(١٠٩) أنظر المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤١٩.أنظر المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤١٩.

(١١٠) يقول ابن واصل عن ذلك : "ولما اجتمعت كلمة هؤلاء على حرب الملك الصالح نجم الدين أيوب ومباينته، وعلموا مكاتبته إلى الخوارزمية، وأنهم لا بد وأن يطرقوا البلاد ويجتمعوا مع عساكر الديار المصرية على حربهم، وعلموا أنهم لا طاقة لهم به، صالحوا الفرنج واتفقوا معهم على تسليم البيت المقدس إليهم، على أن يكون الحرم بما فيه من المزارات لهم وعلى تسليم طبرية وعسقلان وكوكب إليهم، وأن يأذنوا لهم في عمارتها. فتسلم الفرنج ذلك كله وعمروا قلعتي طبرية وعسقلان وحصنوهما. وأخذ بيت الأسبتار كوكب وعزموا على عمارتها، ودخل الفرنج القدس، وتسلموا الصخرة المقدسة والأقصى وما في الحرم الشريف من المزارات. وضمنوا للفرنج – على ما اشتهر – أنهم إذا ملكوا الديار المصرية أن يكون لهم فيها نصيب. وجمع الفرنج الفارس والراجل وحشدوا". ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٥، ص ٣٣٢؛ الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص ٣٤٤ – ٣٤٥. ويقول المقريزي عن ذلك : "...فبعث الناصر داود والصالح إسماعيل، ووافقا الفرنج على أن يكونون لهم عونا على الملك الصالح نجم الدين، ووعداهم أن يسلما إليهم القدس وسلماهم طبرية وعسقلان أيضا فعمر الفرنج قلعتيهما وحصونهما، وتمكن الفرنج من الصخرة بالقدس، وجلسوا فوقها بالخمر، وعلقوا الجرس على المسجد الأقصى". المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤١٧ – ٤١٨.

(١١١) يقول ابن واصل عن ذلك : "وسافرت في أواخر هذه السنة إلى الديار المصرية. ودخلت البيت المقدس، ورأيت الرهبان والقسوس على الصخرة المقدسة. وعليها قناني الخمر برسم القربان. ودخلت

الجامع الأقصى، وفيه جرس معلق. وأبطل بالحرم الشريف الأذان والإقامة، وأعلن فيه بالكفر، وقدم الملك الناصر داود القدس في ذلك اليوم الذي زرت فيه القدس، ونزل غربي القدس، فلم أجتمع به خيفة أن يصدني عن الوصول إلى الديار المصرية. ووصلت إلى غزة فوجدت بها بعض عسكر الملك الصالح إسماعيل نازلين بها" ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٥، ص ٣٣٣؛ بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٨٥. أما المقريزي فيقول عن ذلك : "...فبعث الناصر داود والصالح إسماعيل، ووافقا الفرنج على أن يكونون لهم عونا على الملك الصالح نجم الدين، ووعداهم أن يسلما إليهم القدس وسلماهم طبرية وعسقلان أيضا فعمر الفرنج قلعتيهما وحصنوهما، وتمكن الفرنج من الصخرة بالقدس، وجلسوا فوقها بالخمر، وعلقوا الجرس على المسجد الأقصى". المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤١٧ – ٤١٨.

(١١٢) أنظر :الأيوبيون والمماليك، ص ١٢٣.

(١١٣) أنظر: عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٢٢.

(١١٤) أنظر: الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص ٣٥٤؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤١٧، ٤١٩؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٥، ص ٣٣٢–٣٤٣؛ عاشور عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٢٢ – ١٢٣.

(١١٥) يقول ابن واصل عن ذلك : "وبعث الملك الصالح (إسماعيل) عسكرا إلى غزة، وعزموا على قصد الديار المصرية. ومضى الملك المنصور بنفسه إلى عكا، واجتمع بالفرنج وقرر معهم أن يمضوا معه لحرب الملك الصالح فأجابوه إلى ذلك". ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٥، ص ٣٣٣؛ الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص ٣٥٤؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤١٧–٤٢٠.

(١١٦) ابن واصل، ج ٥، ص ٣٣٣.

(١١٧) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٥، ص ٣٣٦–٣٣٧؛ الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ص ٣٥٣؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤١٩.

(١١٨) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤١٩ – ٤٢٠؛ ابن واصل، ج ٥، ص ٣٣٩.

(١١٩) أنظر: عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٢٢.

قائمة المصادر والمراجع

أولا، المصادر

١. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزرى الشيباني. الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ..

٢. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢م.

٣. الحنبلي، أبو اليسر مجير الدين العليمي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، إعداد وتحقيق ومراجعة عدنان يونس أبو تبانة، مكتبة دنديس،١٤٢٠ الخليل، عمان، هـ/ ١٩٩٩م.

٤. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج ٧، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٩.

٥. الدواداري، أبي بكر بن عبد الله بن أيبك. كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السابع الدرر المطلوب في أخبار بني أيوب، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٣٩١ هـ، ١٩٧٢م.

٦. أبي شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠٢م.

٧. أبي شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي. تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢م.

٨. ابن شداد، القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع. سيرة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"، تحقيق أحمد أبيش، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

٩. الدواداري، أبو بكر عبد الله بن أيبك. كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٣٩١ هـ، ١٩٧٢م.

١٠. الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد. العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت (ب،ت).

١١. العيني، بدر الدين محمود. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (العصر الأيوبي)، الجزء الرابع، تحقيق ودراسة محمود رزق محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م.

١٢. أبي الفدا، عماد الدين إسماعيل. المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية (ب،ت).

١٣. ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.

١٤. المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م.

١٥. ابن مماتي، الأسعد بن الخطير المهذب ابن مينا المصري، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، مصر، ١٩٤٣م.

١٦. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق حسنين محمد ربيع، مراجعة وتقديم سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، وزارة التربية والتعليم، إدارة الثقافة العامة، المطبعة الأميرية، القاهرة.

١٧. ابن الوردي، زين الدين عمر. تاريخ ابن الوردي (ب،ن)، (ب،ت).

ثانيا، المراجع

١. الأغا، حسام حلمي يوسف، الأوضاع الاجتماعية في فلسطين في زمن الحروب الصليبية (٤٩٢-٦٩٠ هـ/١٠٩٩-١٢٩١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الدجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧م.المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية (ب،ت)، الجزء الأول.

٢. رينسمان، تاريخ الحملات الصليبية، من كليرمونت إلى أورشليم، ترجمة نور الدين خليل، الهيئة رينسمان، ستيفن. تاريخ الحروب الصليبية، المجلد الثالث، القسم الأول، مملكة عكا والحملات الصليبية المتأخرة، نقله إلى العربية الباز العريني، بيروت، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م/ ١٤١٧هـ.

٣. الصلابي، علي محمد، الأيوبيون بعد صلاح الدين والحملات الصليبية من الرابعة إلى السابعة، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٤. الطل، عثمان. رؤية تاريخية لقضية القدس في المفاوضات بين صلاح الدين الأيوبي والملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد : ٥٨٣ – ٥٨٨ هـ / ١١٨٧ – ١١٩١م، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، العدد ١٢٦، السنة ٣٢، ربيع ٢٠١٤، ص ٣٩ – ٧٦.

٥. عاشور، سعيد عبد الفتاح. الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦.

٦. عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى : التاريخ السياسي، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥.

٧. عاشور، سعيد عبد الفتاح. الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦.

٨. عاشور، فايد حماد محمد. الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، دار الاعتصام، القاهرة (ب، ت).

٩. عمران، محمد سعيد. تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥ – ١٢٩١، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (ب، ت).

١٠. غنيم، أسمت، تاريخ الحروب الصليبية، ١٩٩٦م.

١١. المطوي، محمد العروسي. الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.

١٢. قاسم، عبده قاسم. ماهية الحروب الصليبية، ١٤٩، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (ب، ت).

١٣. قلعجي، قدري. صلاح الدين الأيوبي، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٢.
١٤. كلوب، فارس. القدس النقطة المركزية في حياة صلاح الدين، مجلة دراسات بيت المقدس، العدد الثاني، رقم ١، شتاء ١٩٩٨.
١٥. لين بول، ستانلي. صلاح وسقوط مملكة بيت المقدس، ترجمة فاروق سعد أبو جابر، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩.
١٦. المعاضيدي، خاشع. عبد محمد، سوادي. نوري، عبد القادر. تاريخ الوطن العربي والحروب الصليبية (ب،ن)، (ب،ت)، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.
١٧. مؤنس، محمد أحمد عوض. في الصراع الإسلامي –الصليبي (معركة أرسوف ١١٩١م/ ٥٧٧هـ)، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٨٧م.
١٨. النخيلي، درويش. السفن الإسلامية على الحروف المعجم، مصر، دار المعارف، ١٩٧٩.
١٩. نوري، دريد عبد القادر. سياسة صلاح الدين الأيوبي في مصر والشام والجزيرة، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٦.

ثالثا، مقالات علمية

١. شاهين، رياض مصطفى : هدنة الرملة والظروف المحيطة بها، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد التاسع، العدد الأول، ٢٠٠١.
٢. الطل، عثمان. رؤية تاريخية لقضية القدس في المفاوضات بين صلاح الدين الأيوبي والملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد : ٥٨٣ – ٥٨٨ هـ / ١١٨٧ – ١١٩١م، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، العدد ١٢٦، السنة ٣٢، ربيع٢٠١٤.

رابعا، مراجع أجنبية

1-Ambroise, The crusade of Richard Heart Lion, Translated by Hubert, New York, 1943, p429 – 430, Lane pool, Stanley, A History of Egypt in the middle Ages, London, 1963.

2-H.E. Mayer, The Crusades, translated byGillingham, Oxford, 1972.

3-Richard of Holy Trinity Itinerary of Richard I and others to the Holy Land (Fromerly ascribed to Geoffrey de Vinsauf), translated by A Classical Scholar and A Gentleman well – Read in mediaeval history. In parentheses Publications, Medieval Latin Series, Cambridge, Ontario 2001, p 212 – 213.